## القبر بيت الغربة

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن إذا مات، تجملت المقابر لموته، فليس منها بقعة إلا وهى تتمنى أن يدفن فيها، وأن الكافر إذا مات، أظلمت المقابر لموته، فليس منها بقعة إلا وهى تستجير بالله أن لا يدفن فيها.([[1]](#footnote-1))

**وصف القبر**

القبر، هو كل مكان استقر فيه جسد الإنسان، بعد مفارقة الروح له حتى لو كان جوف الوحوش، أو حواصل الطيور، أو قيعان البحار، والمحيطات وحتى لو أحرق الجسد وذرى في الرياح.([[2]](#footnote-2))

فبعد أن كان الإنسان يحيا حياة الأنس والسرور، إذا به يأوي إلى مكان ليس فيه أنيس ولا جليس، وبعد أن كان مبجلاً معظماً في هذه الحياة، إذا به يهال عليه التراب، ويرمى في قعر بعيد، إنه أمر لو تفكر فيه المتفكرون، واعتبر به المعتبرون، ما التذوا بعيش، ولا هنئوا بسعادة، إنه بيت الظلمة، بيت الوحشة، بيت الديدان، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه([[3]](#footnote-3)) وقد روى عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: بيَّنا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ بصر بجماعة، فقال: "علام اجتمع هؤلاء؟" قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدى بين يدي أصحابه مسرعاً، حتى انتهى إلى القبر فجثي عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: "أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا".([[4]](#footnote-4))

## القبر يتكلم:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دفن العبد المؤمن، وأعيدت روحه إلى جسده، قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهري إلىّ، فإذا وليتك([[5]](#footnote-5)) اليوم وصرت إلىّ، فسترى صنيعي بك، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحباً، ولا أهلا، أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهري إلىّ، فإذا وليتك اليوم فسترى صنيعي بك.([[6]](#footnote-6))

وعن عبيد بن عمير رحمه الله أنه قال: إن القبر ليقول: يا ابن آدم ماذا أعددت لي؟ ألم تعلم أنى بيت الغربة، وبيت الوحدة، وبيت الدود([[7]](#footnote-7))، وقال أسيد بن عبد الرحمن رحمه الله: "بلغني أن المؤمن إذا مات، وحمل، قال: أسرعوا بي فإذا وضع في لحده كلمته الأرض فقالت له: إن كنت لأحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحب إلىّ.

فإذا مات الكافر وحمل قال: ارجعوا بي فإذا وضع في لحده كلمته الأرض فقالت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهري، فأنت الآن ابغض إلىّ".([[8]](#footnote-8))

## ويضم القبر ضمته:

ضمة القبر عقبة لا ينجو منها أحد، فما من ميت يموت، إلا ويضم ضمة القبر، حتى لو مات غريقا، فإن الله يقبره، حتى يضم ضمة القبر، أو يكون البحر هو قبره، فيضم عليه بقدرة الله سبحانه، حتى لو مات وبعد موته حرقوه، وسحقوه، ونثروا رماده في الجو، كما يفعل أهل الديانة البوذية أو الهندوسية في بلاد الهند، فإن مثل هذا، قادر رب العالمين سبحانه على أن يجمعه مرة أخرى، ويقبره، حتى تلحقه ضمة القبر، أو يجعل الله تعالى قبره في الهواء فيضيق عليه ويضمه ضمته([[9]](#footnote-9)) وسبحان الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء0

إنها ضمة شديدة، عصيبة، لا ينجو منها قوى ولا ضعيف، عظيم ولا حقير، كبير ولا صغير، قريب ولا بعيد، صالح ولا عاصي، بل هي عامة للجميع لا تجد منها مخرجا، ولا تعرف لها مهربا، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجى سعد ابن معاذ([[10]](#footnote-10)) وفي رواية لقد ضم ضمة ثم فرج عنه.([[11]](#footnote-11))

حتى الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم، ولم يجر عليه القلم، ولم يعرف شيئا، لا ينجو من ضمة القبر وضغطته، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي.([[12]](#footnote-12))

## سبب ضمة القبر:

يقول بعض العلماء: أننا جميعا خلقنا من التراب، خرجنا من الأرض، ونعود إليها لقوله تعالى **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}**([[13]](#footnote-13)) لذلك فالأرض هي أُمّنا جميعا، خرجنا منها إلى الحياة، وغبنا فيها عنها زمناً طويلاً، حينما نعود إليها تستقبلنا، وتضمنا ضمة الأم لأبنها العائد من سفر، فإذا كان الابن طائعاً، موفقاً، مؤمناً في حياته، ضمته أرضه ضمّة الأم الحنون، ضمّة فيها الرّفق والرّحمة والرّأفة.([[14]](#footnote-14))

وعلى قدر عمله يتخلص من الضمة، فإن كان محسنا فإن رحمة الله قريب من المحسنين، فلم يكن للضمة لبث، وإن كان خارجا عن حد المحسنين يطول اللبث في الضمة حتى تدركه الرحمة، أما إذا كان العبد عاصيا، بعيدا عن ربه، مسرفا على نفسه، مهملا ما فرضه الله عليه، ضمته أرضه ضمة شديدة، عنيفة، تختلف فيها أضلاعه، فيها القسوة، والسخط، والانتقام. ([[15]](#footnote-15))

**وجاءك منكر ونكير:**

أتدرى لماذا سمى هكذا؟ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق البهائم، ولا خلق الحيوانات، ولا خلق الهوام، إنما هو خلق بديع غريب منكر، لا يأنس بهما أحد من الناظرين، يتشكلان لكل إنسان بشاكلة عمله، وعلمه، واعتقاده، بإرادة الله ومشيئته.([[16]](#footnote-16))

**أوصافهما:**

ملكان أسودان، يخرقان الأرض بأنيابهما، شعورهما مسدولة، يجرانها على الأرض، أصواتهما كالرّعد القاصف، أبصارهما كالبرق الخاطف، أنفاسهما كالريح العاصف، نُزعت منهما الرّحمة والرّأفة، إذا رأتهما النفس ارتعدت وارتعشت وفرّت هاربة، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان([[17]](#footnote-17)) ما رفعوه ولا حرّكوه، لو ضرب به أعظم جبل جعله دكا.([[18]](#footnote-18))

## الأحاديث الواردة في أوصاف الملكين

**الحديث الأول:**

عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا عمر كيف بك إذا أنت أعد لك ثلاث أذرع وشبر في عرض ذراع وشبر، ثم قام إليك أهلوك فغسلوك، وكفّنوك، وحنطوك، ثم احتملوك حتى يغيبوك، ثم يهيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك، فأتاك فتانا القبر([[19]](#footnote-19))، منكر ونكير، أصواتهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، قد سدلا شعورهما فتلتلاك([[20]](#footnote-20))، وتوهلاك، وقال من ربك؟ وما دينك؟ قال: يا نبي الله ويكون معي قلبي، الذي معي اليوم، قال: نعم قال: إذا كفيتهما بالله تعالى. ([[21]](#footnote-21))

الحديث الثاني:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنت يا عمر؟ إذا انتهى بك إلى الأرض؟ فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير، أسودان يجران أشعارهما، كأن أصواتهما الرعد القاصف، وكأن أعينهما البرق الخاطف، يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساك فزعاً، فتلتلاك، وتوهلاك، قال: يا رسول الله وأنا يومئذ على ما أنا عليه، قال:نعم، قال أكفيتهما، هو بإذن الله يا رسول الله.[[22]](#footnote-22)

الحديث الثالث:

عن أبي سهيل، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر، كيف أنت إذا كنت في أربع من الأرض في ذراعين فرأيت منكرا ونكيرا؟ قال: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال فتانا القبر، أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى ما استطاعوا رفعها، هي أهون عليهما من عصاي هذه، فامتحناك، فإن تعاييت أو تلويت، ضرباك ضربة تصير بها رمادا، قال يا رسول الله وإني على حالتي هذه، قال: نعم قال: أرجو أكفيكهما. ([[23]](#footnote-23))

## الملكان يسألان المؤمن:

يأتي الملكان للمؤمن فيجلسانه، وبعد أن يجلسانه، يسألانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربى الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو محمد رسول الله، فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت([[24]](#footnote-24)) فيقال له: على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث([[25]](#footnote-25)) قال تعالى**{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء}**.([[26]](#footnote-26))

**الملكان يسألان الكافر ويضربانه:**

أما الكافر، فيأتيه الملكان، ويجلسانه، فينتهرانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه ([[27]](#footnote-27)) لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدرى، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدرى([[28]](#footnote-28)) فيقال له: لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد، ضربه بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين.([[29]](#footnote-29))

## وماذا بعد السؤال؟

بعد انتهاء الملكين من سؤال المؤمن، ينادى مناد من السماء، أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنّة، وألبسوه من الجنّة، وافتحوا له بابا إلى الجنّة، فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح([[30]](#footnote-30)) ثم يفرج له فرجه قبل النّار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: أنظر إلى ما وقاك الله تعالى([[31]](#footnote-31)) وذلك ليرى الهول العظيم والعذاب الدائم الذي نجا منه، فيحس بالنعمة الكبرى في نجاته من النّار، وبذلك تزداد فرحته، ويتضاعف شعوره بالنّعمة، ثم يفرج له فرجة قبل الجنّة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له هذا مقعدك([[32]](#footnote-32)) فيقول رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، فيقولان له: أرقد رقدة العروس، قرير العين، لا خوف عليك ولا حزن، نم سعيدا، طوبى لك وحسن مآب.

أما الكافر فبعد أن ينتهي الملكين من سؤاله، ينادى مناد من السماء، أن كذب عبدي فأفرشوه من النّار، وافتحوا له بابا إلى النّار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث([[33]](#footnote-33)) ثم يفرّج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: أنظر ما صرف الله عنك([[34]](#footnote-34)) فتزداد الحسرة في قلبه وهو يرى العذاب الذي سيلقاه والنعيم الذي حرم منه([[35]](#footnote-35)) ثم يفرّج له فرجة إلى النّار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال: هذا مقعدك([[36]](#footnote-36)).

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد إلا أِرىَ مقعده من النّار، لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل النّار أحد إلا أرى مقعده من الجنّة، لو أحسن ليكون عليه حسرة([[37]](#footnote-37)) ثم يقيض له([[38]](#footnote-38))أعمى أصم

أبكم([[39]](#footnote-39)) في يده مرزبة([[40]](#footnote-40)) لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النّار، ويمهد من فرش النّار، فيقول: رب لا تقم الساعة([[41]](#footnote-41)) فيضيق عليه قبره، وتدخل حيتان سود يقرضانه قرضا حتى يلتقيا في وسطه([[42]](#footnote-42)) يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية تسعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة. ([[43]](#footnote-43))

## ماذا في سؤال غير المكلفين؟

إن غير المكلف مثل الطفل، والمجنون ونحوهما، لا تكلفه نصوصُ وقواعدُ وعموميات الشريعة، لا بصلاة ولا حج، ولا يقع عليه عذاب في الدنيا، من قصاص، وحدود، ولا عذاب قبر، ولا حشر، ولا نشر، ولا يعذب بين يدي الجبار سبحانه، بسؤال ولا غيره، فغير المكلفين مرفوع عنهم القلم.

**وهذه هي الأدلة من السنة المطهرة:**

**الحديث الأول:**

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَقُولُ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

قال ابن عبد البر رحمه الله: وأما قوله في الصبي " اللهم أعذه من عذاب القبر " فيشهد له قول الله تعالى ولو عذب الله عباده أجمعين، كان غير ظالم لهم، كما أنه إذا هدى ووفق من شاء منهم، وأضل وخذل من شاء منهم، كان غير ظالم لهم، وإنما الظالم من فعل غير ما أمر به الله تعالى، وهو غير مأمور لا شريك له. ([[44]](#footnote-44))

وقال الباجي رحمه الله: يحتمل أن أبا هريرة اعتقده لشيء سمعه أن عذاب القبر عامٌّ في الصغير والكبير، وأن الفتنة فيه لا تسقط عن الصغير بعدم التكليف في الدنيا. ([[45]](#footnote-45))

قال محمد بن عبد الباقي الزرقاني رحمه الله: قال بعضهم ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته، ولا السؤال، بل مجرد الألم بالغم، والهم، والحسرة، والوحشة والضغطة، وذلك يعم الأطفالَ وغيرَهُم.([[46]](#footnote-46))

**الحديث الثاني:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا "، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَالَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ ". ([[47]](#footnote-47))

الحديث الثالث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ.([[48]](#footnote-48))

الحديث الرابع:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: بِلا عَمَلٍ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: مِنْ آبَائِهِمْ، قُلْتُ: بِلا  عَمَلٍ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ.([[49]](#footnote-49))

الحديث الخامس:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَأَنَا أَقُولُ أَوْلادُ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَوْلادُ الْمُشْرِكِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى حَدَّثَنِي فُلانٌ، عَنْ فُلانٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهُمْ، فَقَالَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ "، قَالَ: فَلَقِيتُ الرَّجُلَ فَأَخْبَرَنِي، فَأَمْسَكْتُ عَنْ قَوْلِي.([[50]](#footnote-50))

قال ابن القيم: ليس المراد أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، لأن الله يقول **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا}**([[51]](#footnote-51)) ولكن المراد، أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام، ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة، وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك، فإنه لا يتغير بتهويد الأبوين مثلاً، بحيث يخرجان الفطرة عن القبول، وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية، فلو  خَلَى، وعدم المعارض، لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه، من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، بل كانت إياه، في تأويل الرؤيا.([[52]](#footnote-52))

الحديث السادس:

عَنِ الأسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ غَزَوَاتٍ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ قَوْمٌ الذُّرِّيَّةَ بَعْدَمَا قَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَلا مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ، حَتَّى تَنَاوَلُوا الذُّرِّيَّةَ "، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَوَلَيْسَ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ تُولَدُ إِلا وُلِدَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَمَا تَزَالُ عَلَيْهَا حَتَّى يُبِينَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا، أَوْ يُنَصِّرَانِهَا ".([[53]](#footnote-53))

## الجسد يفنى ويبقى عجب الذنب:

الجسد بعد ذلك يفنى، ولا يبقى منه غير ذرة صغيرة، سينشأ منها النشأة الأخرى يوم البعث، هي عجب الذنب بفتح العين وسكون الجيم، فكما كان له ملك موكل في حياته لحفظه، كذلك هناك ملك يحفظ ذرته التي تبقى بعد موته إلى يوم البعث، ولو قبرت في أعماق البحار، أو بقيت تذروها الرياح، أو حفظت في آنية أو مسكن 0

وعجب الذنب كما قال الإمام النووي، هو رأس العصعص بين الإليتين، وهو الذي يبقى ليعاد تركيب الخلق عليه، بنزول مطر خاص من السماء، ينزله ربنا تبارك وتعالى وقت أن يشاء، فينبت كل مخلوق من عجب ذنبه، كما تنبت النبتة من بذرتها، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.([[54]](#footnote-54))

هذه الخلية الحصينة التي لا تفنى، يتم تركيب جسم الإنسان منها يوم القيامة، فإذا كان جسمه في الحياة الدنيا قد بلى، وأكله الدود، وصار غذاء للنبات الذي أثمر، وأكل الناس والطيور ذلك الثمر، وتفرق بين أجساد شتى لقرون عدة، فإن خلية عجب الذنب لم تبلى، لأن الخالق تولى حفظها؛ أليس هو الحفيظ العليم؟؟؟0

**يقول الدكتور زغلول النجار:**

وقد أثبت مجموعة من علماء الصين، في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب([[55]](#footnote-55)) كيميائيا، بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائيا بالحرق، أو بالسّحق، أو بالتّعريض للأشعة المختلفة، وهو ما يؤكد صدق حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يعتبر سابقة لكافة العلوم المكتسبة بألف وأربعمائة سنة على الأقل.([[56]](#footnote-56))

## حياة القبر هي حياة البرزخ

الإخبار عن هذه الحياة – حياة البرزخ – جاءنا عن طريق الشرع الحنيف، بواسطة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وهذا الشرع الحنيف قائم على القسط، والأصل فيه العدل، ومن مقتضى العدل، ومن لوازم القسط، ألاَّ يُترْك هذا الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا، وبعد موته هكذا، بدون حساب ولا عقاب، ولا يُثاب المحسن، ولا يعاقب المسيء، وانطلاقاً من الشرع الحنيف، لا بد أن يكون هناك موقف يقفه هذا الإنسان، ليحاسب على عمله، ويجازى على فعله، بعد انتهاء حياته الدنيا، وينتقل إلى حياة أخرى التي هي بداية الحياة الأبدية، ألا أنها حياة البرزخ، لينعم أو ليعذب، حتى تتحقق العدالة الإلهية، وحتى يوفي الجميع ويطمئن قلبه، أن لهذا الكون إلهاً عادلاً، لا يظلم مثقال ذرة.

فإن الإله الذي خلق، والذي كلَّف الإنسان، من موجبات عدله، وشرعه الحنيف، وجود هذه الحياة البرزخية، التي هي بداية الحياة الأخروية. قال عز وجل: **{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**.([[57]](#footnote-57))

والبرزخ هو الحاجز أو الفاصل ما بين الدنيا والآخرة فأهل البرزخ ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم، وهناك أدلة كثيرة على أن هناك حياة في البرزخ، تختلف عن الحياة الدنيا في قوانينها، وفيما يحيط بها، وفيما يراه الإنسان ويشاهده، وعلى المؤمن أن يؤمن بما جاء عن الحياة البرزخية في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لأن ذلك من أصول العقيدة وهو الإيمان بالغيب دون إعمال عقولنا القاصرة في إثباتها، إذ أن هذا الاعتقاد ليولد عنده الخوف والخشية من الموقف، ومن هذا المكان، ويجعله يعمل لهذه الحياة – حياة البرزخ – التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم، أنها إما روضة من رياض الجنّة، , وإما حفرة من حفر النّار - والعياذ بالله – فيعمل جاهداً على أن تكون هذه الحياة البرزخية بالنسبة له روضة من رياض الجنّة، فيدفعه ذلك لفعل الخيرات، والتزين بالأعمال الصالحة، والإحسان للآخرين، وأن يكون مسلماً صالحاً في نفسه، ومصلحاً لغيره حتى يفوز بنعيم القبر، ويتمتع بحياة البرزخ.

وخوفه من أن يكون قبره، وحياة البرزخ حفرة من حفر النّار، يجعله ذلك من الذين يقفون عند حدود الله تعالى، ولا يتجرأ على حرمات الله، ولا يقدم على معصية الله، ولا يقع في شيء يغضب الجبار في علاه، من ظلم، أو بطش، أو غشٍ، أو شهادة زور، أو أكل حقوق النّاس، وأموالهم بالباطل، أو إفساد في الأرض، أو غير ذلك، فيؤدي ذلك الاعتقاد بوجود حياة البرزخ، إلى أن يستقيم كل فرد مسلم ومسلمة على شرع الله، وعمل الصالحات، وترك  المنكرات، فيعم الخير، ويسود الأمن والأمان، على مستوى الأفراد، ويتعدى ذلك إلى الجماعات، والدول، والأمم، وبصلاح الفرد، تصلح الأمم.

## عذاب القبر هو عذاب البرزخ:

**قال الإمام ابن القيم رحمه الله:**

ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق العذاب ناله نصيبه منه قبر أولم يقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رمادا، أو نسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب، ما يصل إلى القبور.([[58]](#footnote-58))

فلو علق الميت على رؤوس الأشجار، في مهاب الريح، لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النّار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النّار على هذا بردا وسلاما، والهواء على هذا نارا وسموما، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها، وفاطرها، يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيئته، مذللة منقادة لقدرته.([[59]](#footnote-59))

وقد ورد في عذاب القبر، جملة من الأحاديث، عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، في الصحيحين وغيرهما، وفيها إثبات عذاب القبر وإنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين.

ونحن المسلمين، يجب أن نعتقد اعتقادا جازما، ونوقن يقينا لا يشوبه شك في أن هناك حياة بعد الموت وليس القبر كما يظن الكثير من الجهال، أنه مكان مظلم، يخيم فيه صمت رهيب، فرشه الحصباء وساكنه الديدان والحشرات، فلو كان الأمر كذلك لاستوى فيه المؤمن والكافر على حد سواء، ولا يستقيم هذا مع الحق الذي أقام الله السماوات والأرض عليه، صحيح أن منظر القبر كئيب، وأنه موحش يهذب النفس، ويرقق القلب المؤمن حين يعرف أن القبر نهاية الحياة الدنيا، ولكن الحقيقة التي يجب إلا تبتعد عن عين المؤمن، أن وراء هذه الظلمة التي نراها بأعيننا في القبر غيبا نبأنا الله به، وحياة وصفها لنا رسولنا الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم([[60]](#footnote-60)) إنه إما روضة من رياض الجنة للصالحين جزاء إحسانهم وطاعتهم، أو حفرة من حفر النّار للمكذبين والمسيئين العاصين 0

وعذاب القبر، قد يكون دائما ملازما لا ينقطع أبدا، على الكفار والعصاة، ويدل على دوامه قوله تعالى **{ النّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواًّ وَعَشِياًّ}**.([[61]](#footnote-61))

وقد يكون لفترة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه، كما يعذب في النّار مدة ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم.

ومن المعلوم أن عذاب القبر يكون خفيا، لا يدرى عنه الناس شيئا، وقد أخبرت السنة الصحيحة أن البهائم تشعر بعذاب القبر لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال: أن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم.([[62]](#footnote-62))

وقد أعطى الله رسوله صلى الله عليه وسلم القدرة على سماع المعذبين في قبورهم فقال عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمّة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا([[63]](#footnote-63)) لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.([[64]](#footnote-64))

## إنكار عذاب القبر كفر:

قال صلى الله عليه وسلم عذاب القبر حق([[65]](#footnote-65)) وزاد في رواية "فمن لم يؤمن به عذب".([[66]](#footnote-66))

**يقول ابن القيم رحمة الله:**

فمن أنكر عذاب القبر فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته.([[67]](#footnote-67))

**الأدلة على عذاب القبر من الكتاب والسنة:**

**الدليل الأول:**

قوله تعالى **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غّمَرَاتَّ المَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}**.([[68]](#footnote-68))

وجه الدلالة من هذه الآية، أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وهم لا يرون شيئا من ذلك، ولا يسمعون شيئا، فلأن يفعل له في قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم.([[69]](#footnote-69))

**الدليل الثاني:**

قوله تعالى: **{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}**([[70]](#footnote-70)) وهذه الآية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول: ما يصيبهم الله به في الدنيا، إما بعقاب من عنده وإما بأيدي المؤمنين، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قال الحسن البصري: سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر.([[71]](#footnote-71))

**الدليل الثالث:**

قوله تعالى: **{فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ النّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواًّ وَعَشِياًّ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ}**([[72]](#footnote-72))

والآية حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق تبارك وتعالى قرر أن أل فرعون يعرضون على النّار غدوا وعشيا، وهذا قبل يوم القيامة، قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجه في تثبيت عذاب القبر.([[73]](#footnote-73))

**الدليل الرابع:**

قوله تعالى: **{ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً}**([[74]](#footnote-74)) قال الألوسي في "روح المعاني": "فَأُدْخِلُوا نَاراً" هي نار البرزخ والمراد: عذاب القبر، ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلا أصابه ما يصيب المقبور من العذاب.

وقال فخر الدين الرازي في "مفاتيح الغيب": تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: **{أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارا}** وذلك من وجهين: الأول: أن الفاء في قوله تعالى: "فَأُدْخِلُوا نَارا" تدل على إنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء، الثاني: أنه قال: "فَأُدْخِلُوا" على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك.([[75]](#footnote-75))

**الدليل الخامس:**

قوله تعالى: **{فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}**.([[76]](#footnote-76))

قال ابن جرير في تفسيره عن البراء: "عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ" قال: عذاب القبر.([[77]](#footnote-77))

وقال ابن عباس في قوله وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ" يقول:عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة.([[78]](#footnote-78))

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أن الله تعالى أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه في البرزخ.([[79]](#footnote-79))

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد يقال وهو أظهر: أن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقى منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ. ([[80]](#footnote-80))

الدليل السادس:

قوله تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى}**([[81]](#footnote-81)) روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعيشة الضّنك عذاب القبر([[82]](#footnote-82)) وفي رواية عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما المعيشة الضّنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره. ([[83]](#footnote-83))

أما الأحاديث التي تؤيد عذاب القبر فهي كثيرة جدا حتى قال عنها صاحب شرح العقيدة الطحاوية: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلا لذلك وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به.([[84]](#footnote-84))

**وهذه بعض الأحاديث:**

**الحديث الأول:**

عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ }**([[85]](#footnote-85)) قال: نزلت في عذاب القبر.([[86]](#footnote-86))

الحديث الثاني:

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بي يفتتن أهل القبور، وفي نزلت هذه الآية**{يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}**.([[87]](#footnote-87))

الحديث الثالث:

عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى ([[88]](#footnote-88))عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم([[89]](#footnote-89))، فيأتيه ملكان، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك([[90]](#footnote-90)) في النّار، قد أبدلك الله مقعدا في الجنة، فيراهما جميعا.([[91]](#footnote-91))

الحديث الرابع:

عن أنس بن مالك أن النبي قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النّار، أبدلك الله به مقعدا في الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يراهما كلاهما، أو قال جميعا، » قال قتادة: فذكر لنا: " يفسح له في قبره سبعون ذراعا ([[92]](#footnote-92)) ويملأ عليه خضرا إلى يوم القيامة " ثم رجع إلى حديث أنس قال: « وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت([[93]](#footnote-93))، ثم يضرب بمطراق([[94]](#footnote-94)) من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة ([[95]](#footnote-95)) يسمعها من يليه([[96]](#footnote-96))غير الثقلين.([[97]](#footnote-97))

**الحديث الخامس:**

عن ذكوان، أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي يهودية، فقالت: أطعميني، أعاذك ([[98]](#footnote-98)) الله من فتنة الدجال وفتنة القبر قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء النبي، فقلت: يا رسول الله، ما تقول هذه اليهودية؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تقول قلت، تقول: أعاذك الله من فتنة الدجال وفتنة القبر » فقام رسول الله، فرفع يديه مدا يستعيذ من فتنة الدجال وفتنة القبر، ثم قال: « فأما الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن وأما فتنة القبر فبي تفتنون ([[99]](#footnote-99)) وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ([[100]](#footnote-100)) فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله، فآمنا وصدقنا، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله عز وجل، فيفرج له فرجة قبل النّار فينظر إليها يحطم([[101]](#footnote-101)) بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك ([[102]](#footnote-102)) الله عز وجل، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى ما فيها من زهرتها، وما فيها فيقال له: ها هنا مقعدك، ويقال: على اليقين كنت وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعا مشعوفا، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعنا الناس يقولون، فيفرج فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر ما صرف الله عنك ويفرج له فرجة قبل النّار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال: هذا مقعدك، ثم يقال: على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله".([[103]](#footnote-103))

الحديث السادس:

عن زيد بن ثابت قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا([[104]](#footnote-104)) لبني النجار وهو على بغلة له فمرت على قبور خمسة أو ستة، فحادت([[105]](#footnote-105)) به البغلة فقال: " أيكم يعرف أصحاب هذه القبور " فقال رجل: أنا يا رسول الله قال: ما هم؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذه الأمة تبتلى([[106]](#footnote-106)) في قبورها، ولولا أن لا تدافنوا ([[107]](#footnote-107)) لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر " يعني الذي هم فيه، ثم قال: " تعوذوا ([[108]](#footnote-108)) بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب النّار " ثم قال: " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " ثم قال: " تعوذوا بالله من فتنة الدجال".([[109]](#footnote-109))

الحديث السابع:

عن أنس أن رسول الله كان صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء ([[110]](#footnote-110)) فمر على حائط ([[111]](#footnote-111)) لبني النجار فإذا هو بقبر يعذب صاحبه فحاصت ([[112]](#footnote-112)) البغلة فقال:" لولا أن لا تدافنوا ([[113]](#footnote-113)) لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر". ([[114]](#footnote-114))

## تساؤلات المنكرين لعذاب القبر وردود العلماء عليها:

التساؤل الأول:

قالوا: إنا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة، عميا، صما، يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات، ولا ثعابين، ولا نيران تأجج، ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال، لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق، وعلى صدره الخردل، لوجدناه على حاله، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناه، لم يزد ولم ينقص، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة؟ وللصورة التي تؤنسه أو توحشه؟([[115]](#footnote-115))

**التساؤل الثاني:**

نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة، لا يسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارا، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الرياح، كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟ وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النّار؟ وكيف يضيق عليه حتى تلتئمه أضلاعه؟([[116]](#footnote-116))

**التساؤل الثالث:**

كيف يكون هناك سؤال وعذاب ونعيم للميت؟ وهذه أمور تتوقف على الحياة من الإدراك والشعور، وقد فسد الجسم، وتمزقت أشلاؤه، وفسدت أجهزته، وفقد الحس والحياة، فكيف يعقل سؤالا، أو يحس لذة أو آلما؟([[117]](#footnote-117))

**التساؤل الرابع:**

نشاهد المقتول، والمصلوب، والميت، وتبقى جثثهم أمامنا مدة طويلة دون أن نشاهد عليها أثرا للحياة، وهذه أجساد قدماء المصرين محفوظة في المتاحف، منذ آلاف السنين لم نسمع أن أحدهم تحرك أو ظهر عليه آثار الحياة.([[118]](#footnote-118))

**التساؤل الخامس:**

وضع الميت في مكان ضيق، صلب لا يستطيع فيه قعودا ولا تتأتى فيه الحركة فكيف يتصور جلوسه حينئذ؟([[119]](#footnote-119))

**التساؤل السادس:**

من أكلته السباع، أو أحرق وذرى رماده في الرياح، كيف يتصور سؤاله وعذابه أو نعيمه؟([[120]](#footnote-120))

**ردود العلماء على هذه التساؤلات:**

يقول العلماء أن هذه الشبهات السابقة تافهة لأنها:

**أولا**: تستند على مقياس فاسد، وهو مقياس الغائب على الشاهد، يقيسون ما في الدنيا، على حالة ما في الآخرة، ظنا أن حياة البرزخ مثل الحياة الدنيوية المشاهدة، والحقيقة أن لكل دار لها أحكامها، ونواميسها، التي تختلف عن الأخرى.

**ثانيا**: أن الله سبحانه، جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا، وحجبها عن إدراك المكلفين في الدار الدنيا، وذلك من كمال حكمته، ومن ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر، وتجلس قريبا منه، ويشاهدهم عيانا، ويتحدثون ومعهم الأكفان والحنوط، إما من الجنة، وإما من النّار، ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها، ويخاطبها، والحاضرون لا يرونه، ولا يسمعونه، فكل ذلك من أمور الغيب، التي أخفاها الله عن المكلفين ليتميز المؤمن من الكافر.

**ثالثا**: لقد كان الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم المؤمنين، يؤمنون بنزول جبريل، وما كانوا يشاهدون، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده، فإن كنت لا تؤمن بهذا، فأنت تنكر نزول جبريل عليه السلام، فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وإن كنت آمنت به، وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة، فكيف لا تجوز هذا في الميت؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين، والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا، بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى.

**رابعا**: أن الذي جاء بهذا هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس، وليس هناك طريق إلا ما نقلوه من ذلك، فيجب التسليم به.

**خامسا**: قال بعض العلماء: لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به، كما أنا نحسب المغمى عليه ميتا، وكذلك صاحب السكتة، وندفنه على حسبان الموت، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة في أجزائه، ويعيده كما كان، كما فعل بالرجل الذي أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذرى حتى تنسفه الرياح. ثم قال له الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتك.([[121]](#footnote-121))

**سادسا**: أن العبد قادر على أن يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة، فكيف يعجز عنه الملك؟، وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير؟، وكيف تعجز قدرته عن إبقائه في عينيه وعلى صدره لا يسقط عنه؟، وهل قياس أمر البرزخ على ما يشاهده الناس في الدنيا إلى محض الجهل والضلال وتكذيب أصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين؟ وذلك غاية الجهل والظلم.([[122]](#footnote-122))

**سابعا**: أن النّار التي في القبر والخضرة ليست من نّار الدنيا ولا من زروع الدنيا، حتى يشاهدها أهل الدنيا وإنما هي من نّار الآخرة وخضرها.([[123]](#footnote-123))

**ثامنا**: قدرة الله سبحانه وتعالى أوسع وأعجب من ذلك، حتى أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر، هذا في حفرة من حفر النّار، لا يصل حرها إلى جاره، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره، ولكن النّفوس مولعة بالتكذيب، بما لم تحط به علماً، إلا من وفقه الله وعصمه.([[124]](#footnote-124))

**تاسعا**: إن حياة القبر حياة برزخية، تختلف في قوانينها عن الحياة الدنيوية وهى محجوبة عنّا، فلا نراها، ولا نسمع أصوات أصحابها، فلا يصح الاحتجاج بأن جسد الإنسان يتحول ترابا، فليتحول ترابا أمام أعيننا ولكنا لسنا مؤهلين لإبصار هذه الأمور الخارقة للعادة والمخالفة لنواميس هذه الحياة الدنيا، فلا تصح حواسنا حكما في هذه القضية([[125]](#footnote-125))

وبالجملة كما يقول الإمام القرطبي فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم، فلا تقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئا مما هنالك([[126]](#footnote-126)).

**الفهرس**

[القبر بيت الغربة 2](#_Toc458247199)

[القبر يتكلم: 3](#_Toc458247200)

[ويضم القبر ضمته: 4](#_Toc458247201)

[سبب ضمة القبر: 5](#_Toc458247202)

[الأحاديث الواردة في أوصاف الملكين 6](#_Toc458247203)

[الملكان يسألان المؤمن: 7](#_Toc458247204)

[وماذا بعد السؤال؟ 8](#_Toc458247205)

[ماذا في سؤال غير المكلفين؟ 11](#_Toc458247206)

[الجسد يفنى ويبقى عجب الذنب: 14](#_Toc458247207)

[حياة القبر هي حياة البرزخ 15](#_Toc458247208)

[عذاب القبر هو عذاب البرزخ: 17](#_Toc458247209)

[إنكار عذاب القبر كفر: 19](#_Toc458247210)

[تساؤلات المنكرين لعذاب القبر وردود العلماء عليها: 27](#_Toc458247211)

1. (1) رواه الحكيم وابن عساكر عن عبد الله بن عمر وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (1769) [↑](#footnote-ref-1)
2. (2) الروح (ص 80) [↑](#footnote-ref-2)
3. (3) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (5623) [↑](#footnote-ref-3)
4. (1) رواه أحمد و ابن ماجة عن البراء وحسنه الألباني في صحيح الجامع(2659). [↑](#footnote-ref-4)
5. (2) وليتك: صرت رئيسا عليك [↑](#footnote-ref-5)
6. (3) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري وقد حديث حسن (الترغيب والترهيب جـ4 ص 237) [↑](#footnote-ref-6)
7. (4) أخرجه ابن أبى شيبه في المصنف بإسناد صحيح (جـ8ص229) . [↑](#footnote-ref-7)
8. (5) أخرجه ابن المبارك بإسناد صحيح [↑](#footnote-ref-8)
9. (2) الروح (ص 98) [↑](#footnote-ref-9)
10. (3) رواه أحمد عن عائشة وصححه الألباني في صحيح الجامع (2180) [↑](#footnote-ref-10)
11. (4) رواه النسائي عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع (6987) [↑](#footnote-ref-11)
12. (1) رواه الطبراني عن أبي أيوب وصححه الألباني في صحيح الجامع (5238) [↑](#footnote-ref-12)
13. (2) الآية 55 من سورة طه [↑](#footnote-ref-13)
14. (3) الظل والحرور (ص 343) [↑](#footnote-ref-14)
15. (4) الظل والحرور (ص 343) [↑](#footnote-ref-15)
16. (1) التذكرة (جـ1 ص 67) [↑](#footnote-ref-16)
17. (2) الثقلان: الإنس والجن [↑](#footnote-ref-17)
18. (3) فيض القدير (جـ2 ص 372) [↑](#footnote-ref-18)
19. (1) أي اللذان يفتنان الناس في قبورهم [↑](#footnote-ref-19)
20. (2) التلتلة: التحريك بعنف وشدة [↑](#footnote-ref-20)
21. (3) صحيح ابن حبان (مورد الظمآن ص780) [↑](#footnote-ref-21)
22. (4) إثبات عذاب القبر للقبر للإمام البيهقي(ص 82 ) [↑](#footnote-ref-22)
23. (1) رواه البيهقي في الاعتقاد (ص109) وابن أبى داود وغيرهما (كنز العمال ج15 ص741) [↑](#footnote-ref-23)
24. (2) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (1676) [↑](#footnote-ref-24)
25. (3) رواه الطبراني في الأوسط (الترغيب والترهيب جـ3 ص 371) [↑](#footnote-ref-25)
26. (4) الآية 27 من سورة إبراهيم. [↑](#footnote-ref-26)
27. (5) تقال للدهشة عند حصول ما لا يتوقع [↑](#footnote-ref-27)
28. (1) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (1676) [↑](#footnote-ref-28)
29. (2) صحيح البخاري ومسلم (الترغيب والترهيب جـ4 ص 362) [↑](#footnote-ref-29)
30. (3) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (1676) [↑](#footnote-ref-30)
31. (4) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (1968) [↑](#footnote-ref-31)
32. (5) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (1968) [↑](#footnote-ref-32)
33. (1) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (1676) [↑](#footnote-ref-33)
34. (2) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (1968) [↑](#footnote-ref-34)
35. (3) نهاية العالم (ص 60) [↑](#footnote-ref-35)
36. (4) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (1968) [↑](#footnote-ref-36)
37. (5) رواه البخاري عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (7668) [↑](#footnote-ref-37)
38. (6) يجاء له ويتاح له على البناء للمجهول (القاموس المحيط ج 2ص 35) [↑](#footnote-ref-38)
39. (1) حتى لا يراه وهو يتعذب ولا يسمع صوته فيرحمه [↑](#footnote-ref-39)
40. (2) آلة مصنوعة من حديد قوى تستخدم لتحطيم الصخور [↑](#footnote-ref-40)
41. (3) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء بن عازب وصححه الألباني في صحيح الجامع (1676) [↑](#footnote-ref-41)
42. (4) أخرجه أحمد بسند حسن (مجمع الزوائد حـ 3 صـ55) [↑](#footnote-ref-42)
43. (5) رواه ابن حبان في صحيحه (782،783) [↑](#footnote-ref-43)
44. (1) الاستذكار (ج8ص260) [↑](#footnote-ref-44)
45. (2) شرح الزرقاني (ج2 ص 15) [↑](#footnote-ref-45)
46. (3) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك(ج2 ص 16) [↑](#footnote-ref-46)
47. (1) خرجه البخاري (1/465)، ومسلم (4/2048،2049 ) والترمذي (4/447) ، والنسائي (4/58) ، وأبو داود (4/229) ، ومالك (1/241) ، وأحمد (2/253) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. [↑](#footnote-ref-47)
48. (2) خرجه البخاري (6/2434) ، ومسلم - واللفظ له (4/2049) ، والنسائي (4/59) ، و أبو داود (4/229) ، وأحمد (1/215) كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . [↑](#footnote-ref-48)
49. (3) خرجه أبو داود( 4/229)  ، وانفرد به وقال الألباني: صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود للألباني (ج3 ص893). [↑](#footnote-ref-49)
50. (1) خرجه أحمد 5/373 وقال الهيثمي الحديث صحيح . (مجمع الزوائد جـ7 ص218) [↑](#footnote-ref-50)
51. (2) الآية 78 سورة النحل [↑](#footnote-ref-51)
52. (3) شرح الزرقاني (جـ2 ص 120) [↑](#footnote-ref-52)
53. (1) خرجه الدارمي (2/294) ، وأحمد (4/24 ،3/435) ، وكلاهما عن الأسود بن سريع ، وقال الهيثمي رحمه الله: رجال إسناده كلهم ثقات .(مجمع الزوائد جـ5 ص 316) [↑](#footnote-ref-53)
54. (2) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (5395) [↑](#footnote-ref-54)
55. (1) نهاية العصعص [↑](#footnote-ref-55)
56. (2) عجب الذنب/ للدكتور زغلول النجار [↑](#footnote-ref-56)
57. (1) الآيات 99: 100 من سورة المؤمنون . [↑](#footnote-ref-57)
58. (1) الروح (ص 98) [↑](#footnote-ref-58)
59. (2) الروح (ص 98) [↑](#footnote-ref-59)
60. (1) منهج القرآن (ص 493) [↑](#footnote-ref-60)
61. (2) الآية 46 من سورة غافر [↑](#footnote-ref-61)
62. (3) رواه الطبراني عن ابن مسعود وصححه الألباني في صحيح الجامع (1965) [↑](#footnote-ref-62)
63. (1) لا تدافنوا: أي مخافة ترك التدافن [↑](#footnote-ref-63)
64. (2) رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع(2262) [↑](#footnote-ref-64)
65. (3) رواه الخطيب البغدادي عن عائشة وصححه الألباني في صحيح الجامع (3992) [↑](#footnote-ref-65)
66. (4) أخرجه ابن منيع عن زايد ابن أرقم (فيض القدير جـ4 ص 310) [↑](#footnote-ref-66)
67. (5) الروح (ص 98) [↑](#footnote-ref-67)
68. (6) الآية 93 من سورة الأنعام [↑](#footnote-ref-68)
69. (1) رحلة إلى الدار الآخرة (ص 218) [↑](#footnote-ref-69)
70. (2) الآية 101 من سورة التوبة [↑](#footnote-ref-70)
71. (3) فتح الباري شرح صحيح البخاري (جـ3 ص 233) نقلا عن كتاب رحلة إلى الدار الآخرة(ص 218) [↑](#footnote-ref-71)
72. (4) الآيات 45: 46 من سورة غافر [↑](#footnote-ref-72)
73. (1) فتح الباري شرح صحيح البخاري (جـ11 ص 233) نقلا عن كتاب رحلة إلى الدار الآخرة(ص 219) [↑](#footnote-ref-73)
74. (2) الآية 25 من سورة نوح [↑](#footnote-ref-74)
75. (3) مفاتيح الغيب (جـ15 ص 751) نقلاً عن كتاب رحلة إلى الدار الآخرة (ص221) [↑](#footnote-ref-75)
76. (4) الآيات 45: 47 من سورة الطور [↑](#footnote-ref-76)
77. (1) تفسير ابن جرير (جـ11 ص 36) [↑](#footnote-ref-77)
78. (2) إثبات عذاب القبر (ص 62) [↑](#footnote-ref-78)
79. (3) تفسير ابن جرير (جـ11 ص 36) [↑](#footnote-ref-79)
80. (4) الروح (ص 102) [↑](#footnote-ref-80)
81. (1) الآية 124 من سورة طه [↑](#footnote-ref-81)
82. (2)المستدرك (جـ1 ص 381) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي) [↑](#footnote-ref-82)
83. (3) رواه بن حبان (782،783)وأبو يعلى(مجمع الزوائدج3 ص55) [↑](#footnote-ref-83)
84. (4) شرح العقيدة الطحاوية (جـ2 ص450) نقلا عن كتاب إثبات عذاب القبر (ص11) [↑](#footnote-ref-84)
85. (5) الآية 27 من سورة إبراهيم [↑](#footnote-ref-85)
86. (6) صحيح البخاري (جـ2 ص122) ومسلم (ج8 ص162) والنسائي (ج4 ص 101) وابن ماجه (4269) [↑](#footnote-ref-86)
87. (1) إثبات عذاب القبر (ص 32 ) [↑](#footnote-ref-87)
88. (2) تولى: انصرف وأعرض [↑](#footnote-ref-88)
89. (3) قرع النعال: صوتها عند المشي [↑](#footnote-ref-89)
90. (4) المقعد: المكان والمنزلة [↑](#footnote-ref-90)
91. (5) صحيح مسلم (جـ8 ص 162) [↑](#footnote-ref-91)
92. (6) الذراع: وحدة قياس تقدر بطول ذراع الرجل [↑](#footnote-ref-92)
93. (1) تليت: قرأتَ ( أصلها تلوت وقلبت الواو للازدواج ) وقيل: تليت: تبِعتَ مَنْ حقَّقَ الأمر على وجهه. [↑](#footnote-ref-93)
94. (2) المطراق: المطرقة أو المِرْزبة [↑](#footnote-ref-94)
95. (3) الصياح: الصراخ [↑](#footnote-ref-95)
96. (4) يلي: يكون قريبا منه [↑](#footnote-ref-96)
97. (5) صحيح البخاري ج2 ص123 ومسلم ج8 ص162 [↑](#footnote-ref-97)
98. (6) أعاذ: أجار وحمى وحفظ وحصن [↑](#footnote-ref-98)
99. (7) الفِتْنة: الامْتِحانُ والاخْتِبار [↑](#footnote-ref-99)
100. (8) الشعف: شدة الفزع حتى يُذْهَبَ بالقلب [↑](#footnote-ref-100)
101. (1) يحطم: يكسر لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها [↑](#footnote-ref-101)
102. (2) الوقاية: الحماية والستر [↑](#footnote-ref-102)
103. (3) رواه أحمد بإسناد صحيح الفتح (ج8 ص 112 ) وابن ماجه (5268) [↑](#footnote-ref-103)
104. (5) الحائط: البستان أو الحديقة وحوله جدار [↑](#footnote-ref-104)
105. (6) حادت: مالت وابتعدت وعدلت عن وجهتها [↑](#footnote-ref-105)
106. (1) الابتلاء: الاختبار والامتحان بالخير أو الشر [↑](#footnote-ref-106)
107. (2) تدافنوا: أصلها تتدافنوا والمعنى لولا مخافة ألا يدفن بعضكم بعضا [↑](#footnote-ref-107)
108. (3) تعوذ: لجأ إلى الله وطلب التحصن والاعتصام والحماية والحفظ [↑](#footnote-ref-108)
109. (4) رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة عن إسماعيل بن علية عن الجريري بإسناده ومعناه [↑](#footnote-ref-109)
110. (5) الشهباء: البيضاء التي يخالطها قليل سواد [↑](#footnote-ref-110)
111. (6) الحائط: البستان أو الحديقة وحوله جدار [↑](#footnote-ref-111)
112. (7) حاصت: نفرت وهاجت [↑](#footnote-ref-112)
113. (8) تدافنوا: أصلها تتدافنوا والمعنى لولا مخافة ألا يدفن بعضكم بعضا [↑](#footnote-ref-113)
114. (9) صحيح مسلم( 2868) والنسائي (ج4 ص102) [↑](#footnote-ref-114)
115. () الروح (ص 85) [↑](#footnote-ref-115)
116. () الروح (ص 85) [↑](#footnote-ref-116)
117. () فقه الدار الآخرة (ص 50) [↑](#footnote-ref-117)
118. () فقه الدار الآخرة (ص 50) [↑](#footnote-ref-118)
119. () فقه الدار الآخرة (ص 50) [↑](#footnote-ref-119)
120. () فقه الدار الآخرة (ص 50) [↑](#footnote-ref-120)
121. () التذكرة (جـ2 ص 153) والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (الترغيب والترهيب جـ4 ص 260) [↑](#footnote-ref-121)
122. () الروح (ص 97) [↑](#footnote-ref-122)
123. () البحر الرائق (ص 282) [↑](#footnote-ref-123)
124. () البحر الرائق (ص 282) [↑](#footnote-ref-124)
125. () دراسات في العقيدة عن كتاب فقه الدار الآخرة (ص 55) [↑](#footnote-ref-125)
126. () التذكرة (ص 153) [↑](#footnote-ref-126)